⚔️فصوص الحكم في ميزان النقد

التوثيق، المعارك، والردود

📜أولاً: هل الكتاب فعلاً لابن عربي؟ (صحة النسبة والتوثيق)

قبل محاكمة الأفكار، يجب التأكد من "الجاني". هل كتب ابن عربي هذا الكلام فعلاً، أم دُسَّ عليه؟

1.الرأي الأكاديمي والتاريخي (ثبوت النسبة)

يكاد يجمع المحققون المعاصرون والمستشرقون، ومعهم كبار تلامذة ابن عربي، على أن الكتاب **صحيح النسبة ١٠٠ %**للشيخ الأكبر، وذلك للأدلة التالية:

- **المخطوطات :**توجد مخطوطة للكتاب عليها قراءة بخط **صدر الدين القونوي** (أهم تلامذة ابن عربي وربيبه)، وعليها إجازة بخط ابن عربي نفسه، وتاريخها سنة ٦٣٠ هـ (قبل وفاة المؤلف بثماني سنوات). هذه الوثيقة تقطع الشك باليقين.
- **الإحالة الذاتية :**ذكر ابن عربي كتاب "فصوص الحكم" في كتابه الموسوعي الآخر **"الفتوحات المكية "**وفي كتابه "الفهرست"، مما يؤكد أنه هو مؤلفه.
- **وحدة الأسلوب :**لغة الكتاب، مصطلحاته، وطريقة طرحه تتطابق تماماً مع النسيج الفكري لابن عربي في سائر مؤلفاته.

2.رأي "المنزهين" (نظرية الدس والتحريف)

حاول بعض محبي ابن عربي (مثل **عبد الوهاب الشعراني** (تبرئته من العبارات الصادمة، فقالوا إن الكتاب دُسَّت فيه عبارات كفرية من قبل أعدائه أو نُسَّاخ جهلة.

- **الرد على هذا الرأي :**هذا الرأي عاطفي ولا يصمد أمام التحقيق العلمي، لأن الأفكار "المشكلة" في الفصوص ليست جملاً عابرة يمكن حذفها، بل هي **صلب هيكل الكتاب** ومبنية عليها فلسفته كاملة.

⚖️ ثانياً: انقسام العلماء حول الكتاب (التكفير، الدفاع، والتوقف)

انقسم العالم الإسلامي تجاه "فصوص الحكم" إلى ثلاث فرق رئيسية:

🔴 الفريق الأول: المكفرون والناقدون بشدة

رأوا في الكتاب كفراً صريحاً، وزندقة، وهدماً لشرائع الإسلام. اعتبروا أن تأويلات ابن عربي تخرج عن لغة العرب ومقاصد الشرع.

- **شيخ الإسلام ابن تيمية** :هو قائد هذا الهجوم. قرأ "الفصوص" بتمعن، وقال إنه أقبح من كفر اليهود والنصارى، لأن النصارى خصصوا الحلول في المسيح، أما صاحب الفصوص فعممه في كل الوجود. وصفه بـ "الكفر الباطني."
- **برهان الدين البقاعي** :ألّف كتاباً كاملاً للرد عليه بعنوان صارخ" :**تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**."
- **ابن خلدون** :المؤرخ الشهير، أفتى بتحريق كتب ابن عربي (خاصة الفصوص) وتغييبها عن الناس لما فيها من خطر على عقائد العامة، وإن كان لم يكفره في ذاته صراحة في بعض المواضع.
- **ملا علي القاري** :من كبار فقهاء الأحناف، كتب رسالة في الرد عليه وتضليله.

🟢 الفريق الثاني: المؤيدون والمدافعون

هؤلاء غالباً من الصوفية والفلاسفة الذين رأوا أن للكتاب "لغة خاصة" (شيفرة) لا يفهمها الفقهاء الظاهريون.

- **جلال الدين السيوطي** :العالم الموسوعي، ألّف رسالة للدفاع عنه بعنوان" :**تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي** "(رداً على البقاعي)، وقال إنه وليّ من أولياء الله، وكلامه اصطلاح خاص لا يُحمل على ظاهره.
- **عبد الغني النابلسي** :شرح الفصوص ودافع عن كل حرف فيه، معتبراً أن المعترضين "محجوبون" عن الحقائق الإلهية.
- **الأمير عبد القادر الجزائري** :كان من كبار شراح الفصوص ومن المدافعين الشرسين عن مدرسة ابن عربي (في كتابه "المواقف").

🟡الفريق الثالث: المتوقفون (السكوت الأسلم)

رأوا أن الرجل له تاريخ في العبادة والعلم، وكلامه موهم، فقالوا: **"نسلم له حاله، ولا نأخذ بظاهر مقاله، ونكل أمره إلى الله."**

- هذا هو موقف **الذهبي** (في بعض أقواله) الذي قال: "والله إن كان يعني ما يقول بظاهره فهو كافر، وإن كان له باطن لا ندري ما هو فالسكوت أسلم."
- القاعدة الذهبية عندهم: **"نحن قومٌ يحرُم النظر في كتبنا"**، أي أنها لا تصلح لغير المتخصصين.

💣ثالثاً: تفصيل الانتقادات والاعتراضات (أين تكمن المشكلة؟)

لماذا أثار هذا الكتاب الصغير كل هذا الرعب؟ إليك القضايا الخمس الكبرى التي فجرت البركان:

🌍 1.عقيدة وحدة الوجود(The Unity of Being)

- **الاعتراض:** يقول النقاد إن الكتاب يلغي الفارق بين الخالق والمخلوق. إذا كان الوجود واحداً، فالكلب والخنزير والحجر (حاشا لله) هي مظاهر لله. هذا يُسقط العبودية، فمن يعبد من؟
- **النص المثير:** قول ابن عربي: *"سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها."*
- **رد ابن عربي:** الوجود الحقيقي لله فقط، أما المخلوقات فهي "ظلال" أو "عدم" اكتسبت وجوداً مؤقتاً بنور الله. هو لا يقول إن الله حلَّ في الحجر، بل إن الحجر لولا إمداد الله له بالوجود لاختفى.

👑 2.إيمان فرعون (نجاة الطاغية)

- **الاعتراض:** القرآن صريح في أن فرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار). ابن عربي يقول في "فص موسى" إن فرعون مات طاهراً مطهراً لأنه آمن عند الغرغرة، والله قَبَض روحه فوراً فلم يلحق أن يعصي بعد إيمانه!

- **التحليل** :هذا قلبٌ للنصوص القرآنية وتحدٍ لإجماع المسلمين. يعتبرها النقاد دليلاً على أن "الكشف" عند ابن عربي يطغى على "النص."

🐮 .3عبادة العجل (التبرير الوجودي)

- **الاعتراض** :في قصة موسى وهارون، يلوم موسى أخاه هارون. يفسر ابن عربي ذلك بأن موسى "العارف" كان يعلم أن بني إسرائيل حين عبدوا العجل، إنما عبدوا الله في صورة العجل (لأن الله يظهر في كل الصور). فموسى عاتب هارون لأنه "ضيق واسعاً" وأنكر تجلياً من تجليات الحق.
- **الحكم** :هذا الرأي اعتبره ابن تيمية ذروة الكفر، لأنه يصحح عبادة الأوثان ويجعل كل مشرك في العالم "مؤمناً" من حيث لا يدري.

🌊 .4قوم نوح (الغرق في بحار العلم)

- **الاعتراض** :الآية تقول: {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا}.
- **تأويل ابن عربي** :يقول إنهم غرقوا في "بحار العلم بالله"، وأدخلوا "ناراً" هي نار المحبة والفناء في الذات الإلهية! يقلب العقاب إلى ثواب عظيم.
  - **النقد** :يعتبر النقاد هذا تلاعباً باللغة وهدماً لمعاني القرآن الواضحة (تحريف الكلم عن مواضعه).

⏫ .5ختم الولاية وختم النبوة

- **الاعتراض** :يُفهم من نصوص الفصوص أن "الولي" (ويقصد نفسه ضمنياً كخاتم للأولياء) يأخذ من "المشكاة الإلهية" مباشرة، بينما النبي يأخذ بواسطة الملك. مما يوحي بتفضيل الولي على النبي في جانب العلم.
  - **قوله"** :*مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي*) "يفسرها شراحه بأن مقام الولاية داخل النبي أعظم من مقام الرسالة، وليس أن الولي الشخصي أفضل من النبي.)

🛡️رابعاً: كيف يقرأ المعاصرون هذا الصراع؟

اليوم، يُنظر إلى "فصوص الحكم" بمنظارين:

١. **المنظار السلفي/الأثري :**كتاب ضلالة، يجب التحذير منه، ومؤلفه مبتدع أو كافر (مع التماس العذر له بالجنون أو الهوس أحياناً).
٢. **المنظار الصوفي/الفلسفي/الأكاديمي :**كتاب عبقري يمثل ذروة الميتافيزيقا الإسلامية. يرون الاعتراضات ناتجة عن "سوء فهم" للمصطلحات:
   - عندما يقول "فرعون مؤمن"، يقصد "الإيمان الكوني الجبري" لا الإيمان الشرعي المنجي.
   - عندما يصحح عبادة العجل، يقصد "من حيث الحقيقة الوجودية" (لا فاعل إلا الله)، لا "من حيث الحكم الشرعي" (الأمر والنهي).

🏁 الخلاصة: كتاب الفتنة الكبرى

كتاب **"فصوص الحكم "**هو الكتاب الذي **لا يقبل الحياد** .إنه نص مصمم ليكون صادماً، مستفزاً، وكاسراً لقوالب التفكير التقليدي.

- من الناحية **الفقهية** :الكتاب يتضمن عبارات تصطدم بظواهر القرآن والسنة وإجماع الأمة، وخطرها على العوام عظيم.
- من الناحية **الفلسفية** :هو تحفة فنية تقدم رؤية متماسكة للكون (Cosmology)لا نظير لها في التراث البشري.

النصيحة الذهبية الموروثة:

"من أراد دينه فليبتعد عنه، ومن أراد الفلسفة والذوق الروحي فليقرأه بحذر، وعلى يد خبير، ومع استحضار ميزان الشرع في كل سطر".

🔑 مفاتيح الخزائن: الشروح، المدرسة الأكبرية، والمقارنات الكبرى

كتاب "فصوص الحكم" أشبه ببرنامج كمبيوتر مكتوب بـ "كود (Code) "معقد لا يفهمه إلا المبرمجون الراسخون. لذا، ظهرت الحاجة الماسة إلى "الشروح" لفك هذه الشيفرة.

📚 أولاً: أهم شروح الكتاب (الخريطة الذهنية للفهم)

قيل إنه لا يوجد كتاب في التصوف خُدم بالشرح مثل الفصوص. إليك أهم "المفاتيح" التي يعتمد عليها الباحثون لفهم ما يريده ابن عربي حقاً:

🥇 .1مفتاح التلميذ: "الفُكوك" (صدر الدين القونوي)

- **الأهمية**: هذا هو الشرح الأخطر والأهم على الإطلاق. القونوي هو ربيب ابن عربي (ابن زوجته) وتلميذه الأول ووريث حاله.
- **الميزة**: سمع الكتاب من فم ابن عربي وشرحه تحت إشرافه. لذا، عندما يقول القونوي "المعنى كذا"، فهو ينقل المعنى المراد من المؤلف مباشرة. كتابه يسمى "الفكوك" لأنه يفك أختام الفصوص.

🧠 .2مفتاح الفيلسوف: "شرح القاشاني" (عبد الرزاق القاشاني)

- **الأهمية**: هو الشرح الأكثر تداولاً وشهرة بين الدارسين.
- **الميزة**: يتميز بلغة فلسفية واضحة، ومنهجية منطقية تحاول تقريب المعاني الصوفية للعقل، مبتعدة عن الشطح الزائد.

🎓 .3مفتاح الأكاديمي: "شرح القيصري" (داوود القيصري)

- **الأهمية**: كانت مقدمة هذا الشرح تُدرَّس في المدارس العثمانية كمنهج رسمي لقرون.
- **الميزة**: يُعتبر شرحاً تعليمياً ممتازاً، ومقدمته (مقدمة القيصري) تعد كتاباً مستقلاً يشرح مصطلحات التصوف الوجودي (الأسماء، الصفات، الأعيان الثابتة) بشكل لا نظير له.

🌙 .4مفتاح الأديب: "نقد النصوص" (عبد الرحمن الجامي)

- **الأهمية**: الجامي هو خاتمة الشعراء الصوفيين الفرس، وشرحه يمزج بين الذوق الأدبي والدقة العرفانية.

⚖️ثانياً: ابن عربي في الميزان (مقارنات فكرية)

لفهم موقع "فصوص الحكم" في خريطة الفكر الإسلامي، يجب مقارنة صاحبه بالعمالقة الآخرين:

🆚ابن عربي (الفصوص) ضد الغزالي (الإحياء)

- **أبو حامد الغزالي** :يمثل "التصوف السني المعتدل". يركز على الأخلاق، تزكية النفس، والعمل بالشريعة، ويبتعد عن الخوض في حقائق الوجود الميتافيزيقية الخطرة. لغته مفهومة للفقيه والعامي.
- **ابن عربي** :يمثل "التصوف الفلسفي الوجودي". يركز على المعرفة (Gnosis)، وحقائق الكون، وسر القدر. لغته صادمة وغامضة.
- **الخلاصة** :الغزالي طبيب للقلوب المريضة، وابن عربي مهندس للكونيات.

🆚ابن عربي (الشيخ الأكبر) ضد جلال الدين الرومي (مولانا)

- كلاهما يؤمن بـ "وحدة الوجود"، لكن الطريق مختلف:
- **الرومي (المثنوي)** :طريقه **"الحب والوله ."**يستخدم القصة، والموسيقى، والعاطفة الجياشة. يخاطب القلب مباشرة ليحترق شوقاً.
- **ابن عربي (الفصوص)** :طريقه **"العلم والمعرفة ."**يستخدم العقل، والمنطق، والهندسة الفكرية. يخاطب العقل ليدرك العجز فيستسلم.
- **الخلاصة** :الرومي يُشعرك بوحدة الوجود، وابن عربي يبرهن لك عليها.

🕌ثالثاً: الأثر السياسي والاجتماعي (الدولة العثمانية نموذجاً)

قد تستغرب أن هذا الكتاب "المثير للجدل" كان له وضع "مقدس" في إمبراطورية عظمى.

- **العثمانيون** :تبنت الدولة العثمانية فكر ابن عربي رسمياً. يُروى أن ابن عربي بشّر في كتبه بظهور الدولة العثمانية (في تأويلات رمزية للشجرة النعمانية.)
- **القبر** :عندما فتح السلطان سليم الأول دمشق، كان أول ما فعله هو بناء ضريح فخم لابن عربي (الذي كان قبره مهملاً ومغموراً في القمامة بسبب كره الفقهاء له)، وقال مقولته الشهيرة: **"من لا يعتقد بروحانية الشيخ الأكبر فليخف على دينه."**

- **التدريس** **:**أصبح "فصوص الحكم" وشروح القونوي والقيصري مقررات دراسية عليا في معاهد الدولة.

🌍رابعاً: "الفصوص" في العصر الحديث (النهضة الغربية)

في القرنين العشرين والحادي والعشرين، حدث انقلاب غريب. بينما قل الاهتمام بالكتاب في العالم العربي (أو حورب)، انفجر الاهتمام به في الغرب الأكاديمي:

١. **وليام شيتيك** **:(William Chittick)** المستشرق الأمريكي الذي يعتبر أكبر متخصص حيّ في فكر ابن عربي، ترجم الفصوص والفتوحات وشرحهما للجمهور الغربي، مظهراً عمق هذا الفكر مقارنة بالفلسفات الغربية.

٢. **هنري كوربان** **:(Henry Corbin)** الفيلسوف الفرنسي الذي ربط بين فكر ابن عربي والفلسفة الظاهراتية(Phenomenology) ، وركز على مفهوم "عالم الخيال."

٣. **ميشيل شودكيفيتش** **:**الفرنسي الذي أسلم وتخصص في "الولاية" عند ابن عربي.

يرى هؤلاء المفكرون أن "فصوص الحكم" يقدم حلاً لأزمة الإنسان المعاصر الروحية، ويقدم نموذجاً للتسامح الديني الشامل.(Universalism)

💡خامساً: مصطلحات "فصوصية" لا بد منها

لاستكمال فهمك للكتاب، هذه مصطلحات تتكرر في كل صفحة تقريباً:

- **المرآة** **:(The Mirror)** الله تجلى في العالم كما يتجلى الشخص في المرآة.
- **الظل** **:(The Shadow)** العالم هو "ظل" الله. والظل لا ينفصل عن صاحبه، لكنه ليس هو صاحبه.

- **النكاح الساري** :يقصد به التفاعل بين العناصر في الكون (سماء وأرض، ذكر وأنثى، سالب وموجب) لتوليد الحياة. يرى أن الكون كله قائم على ثنائية "فاعل ومنفعل."
- **القابلية** :النور الإلهي واحد، لكن الأجسام تختلف في قبولها للنور (كالزجاج الشفاف، والحجر المعتم.(

🏁 **الخاتمة النهائية للسلسلة**

إذا أردنا اختصار كتاب **"فصوص الحكم** "في كلمات، فهو:
"محاولة لرؤية العالم بعين الله، لا بعين البشر."

إنه دعوة لتحطيم الأصنام الذهنية التي صنعناها عن الخالق، لنعبده كما هو لا كما نتخيله نحن. سواء اعتبرت هذا الكتاب "زندقة" أو "ذروة التوحيد"، فإنه يبقى **أعظم نص صوفي كُتب في تاريخ الإسلام**، وتحدياً عقلياً وروحياً لا يمكن تجاهله.

نصيحة أخيرة :إذا عزمت على القراءة، فابدأ بـ **"إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن** "للقونوي، أو شروح معاصرة مبسطة، ولا تقتحم "الفصوص" أعزلاً من سلاح العلم الشرعي والذوق الصوفي.

تمت المقالة بحمد الله.